

## السوسيولوجيا والحس المشترك إعادة التفكير في التوجهات النظرية

د.بن لعوج لطفي

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم - الجزائر

المخلص :

بعد قرن منذ تأسيسها ، كيف كانت للسوسيولوجيا أن تفكر في برنامج ابتسمي ذي قاعدة أساسية؟ ، إن هذا التساؤل قد يترك انطبعا حول تجاوزات ، فهو تارة يكون شرعيا وطارئا، شرعيا لأنه يعبر عن ردة فعل تلك المكانة الابستمولوجية لعلم الاجتماع وما يلزمه من تخصص مند نشأته، فهو طارئ لأنه نسبي وارتيابي من حيث إثارته لجملة من الرهانات، فمن خلال هذه الأطروحة سنتطرق لذلك الإشكال القائم حول تداعيات السوسيولوجيا في فترة العشر سنوات الأخيرة، بعبارة أخرى قد يكون هذا التحدي مناهضا للنظريات السوسيولوجية، لينبثق عنه عدة مصادر مبحثيه حول تلك المفارقة المتعلقة بالحس العام، كما يأخذ بعين الاعتبار تلك الأعمال الابستمولوجية المعاصرة، إنه توجه جديد يأخذ طابعا متعدد القرائن وعقلاني في جوهره.

**الكلمات المفتاحية:** إيديولوجيا (الانقضاء/الاستمرار) /الحس/الإشراق/ الشينئية / المعرفة التنظيرية / الحقيقة الجزئية/هوس الأصول/ الغيرية المنهجية/الجزر المشترك.

### Abstract:

A century after its foundation, how does sociology elaborate its fundamental epistemological programmed? Although this question might seem ambitious, it is both legitimate and urgent. Legitimate, because reflections on the epistemological status of sociology have been undertaken throughout its history; urgent, because contemporary relativism and skepticism have tended to exacerbate the issues. This thesis attempts to understand how sociology has addressed this challenge in the past ten years. Beginning with an examination of the debates of theory sociologique.... This article then explores the potential of suns common epistemological work which brings to get her pluralism and rationalism. Far from any normative-type orientation, this latter work enables an understanding of the discipline not in any idealized form, but rather as it has emerged from its process of historical construction.

**Key words :** Ideology (convergence / continuity) / intuition / illumination / objectivity / epistemological knowledge / partial truth / asset obsession / heterosexual methodology / common root.

## مقدمة:

قد تعبر النظرية على مجموعة مترابطة لنسق من المفاهيم الاجتماعية، فهي خطة استنتاجية منطقية، تعكس صورة الواقع المعاش حيث الفاحص المدقق يجد أن لهذه التعريفات أوجه مختلفة لمعدن واحد، لكن التمايز الشديد يتضح عندما يميز بين النظريات الاجتماعية على أساس كونها كلية بينما الأخرى جزئية، كون إحداها شكلية إصلاحية، بينما الأخرى متحررة ولهذا الاختلاف دلالة، أحيث تعد عملية التأسيس النظري من أهم عمليات بناء النظرية وأشدّها خطورة، بحكم إمكانية الدفاع عنها، بالاستناد إلى فهم واضح للمسلمات مع الاختلاف بين القضايا التحليلية والتركيبية واختلاف التحليل عن البرهان.<sup>ii</sup>

على الرغم من الاهتمام بالتنظير في علم الاجتماع قد بدأ يزداد وينمو منذ مطلع ثلاثينات القرن العشرين، إلا أن نطاق هذا التنظير كان متفاوتا إلى حد كبير، ففي الوقت الذي كان يصوغ فيه بارسونز **PARSONS** نظريته "الكبرى" في النسق الاجتماعي، كان بعض علماء الاجتماع المتأثرين بعلم النفس الاجتماعي يعكفون على صياغة نظريات "محدودة" تتناول الجماعة الصغيرة<sup>iii</sup> فالنظرية وفي إطارها الكلي تعني نسقا مجردا واحدا، يستوعب كل ما يهم عالم الاجتماع وهذا يشمل رواد الاتجاه التجريبي أمثال: "دوركهايم"، "جورفيس"، "ماكس فيبر"، "تونيز"، "سمنسر" أما النظرية الجزئية الصغيرة المتحررة والمستقلة، تتكون من فروض ومفاهيم مرتبطة بالواقع ومن روادها: "لمبردج"، "تشابن"، "جرينود"، "مورينو"، "لازرسفلد" في (و.م.أ) و"بوث" و"كورت ليفين" في (بريطانيا) و"هالفكس" و"بلاندييه" و"بودون" في فرنسا<sup>iv</sup> وهنا الهاجس والرهان الابستمولوجي بشقيه الحدائ والتقليدي الذي يأخذ طابعا من الدراسات والتحقيقات الامبريقية وما يترتب عنها من مشروعية الشك والتشكيك في نتائجها، حيث ظلت تمثل حقول التجارب المفضلة لدى العديد من الباحثين الأجانب لأسباب عديدة دون أن امتلاك وسائل الاستخدام الفعالة لمناهج البحث، فضلا عن انعدام الموضوعية والتجريد لدى الغالبية من هؤلاء الباحثين الذين يستهدفون دراسة الشخصية العربية بقصد إثبات أو نفي سمات معينة، تخدم أهدافا غير علمية تمّ تحديدها مسبقا في مخابهم، تحت غطاء البحث العلمي المجرد.<sup>v</sup>

فإذا كان هؤلاء المختصون لا يرضون بهذه الرؤية الضيقة في تناولهم هذه المواضيع واستيعابهم للحقيقة الإنسانية، مع إصرارهم على استبدالها بنظرة متفتحة متعددة الجوانب - فلأنهم وبكل بساطة يعتبرونها نظرة مغلقة وجزئية ومختزلة للإنسان .

فلعل أول قصور يخيم على هذا الاختزال ذلك الذي يتمثل في الاعتماد على اطر نظرية طغت على العلوم الإنسانية، لتحول الإنسان إلى أجزاء متناثرة بعدما حاولت أن تجعل من تفسير السلوك تفسيراً ميكانيكياً يخضع لعلية أحادية<sup>vi</sup>، ففي هذا الإطار قد نجد أنفسنا أمام بديلين محفوفين بالمخاطر، أن نجد طريقاً للاقتراب بشدة من النسق الإنساني منه من المنظر وفي نفس الوقت قد نجد ارتباطات بين نسق معين وأنساق أخرى، كما أن الواقع المجتمعي قد يلعب دور الموجه للتصورات الفكرية من جهة وبناء المنظومة المفاهيمية من جهة أخرى، فيجد المنظر نفسه أمام هاجس الأحكام اللامعيارية واختلال البني المعرفية، فيحاول التجرد والتحرر من ذلك الخطاب السوسيولوجي وذلك بمحايبته للغة وخصوصية المجتمع المدروس فتجاوز هذه المخاطر هل وجب التسليم بموضوعية المعرفة السوسيولوجية؟ أم أن نعيد التفكير في هيكله شاملة لهذه الأبنية النظرية؟ وإن كانت المنظومة الفكرية الغربية تركز لما بعد الحداثة - أفلا يمكن القول بأنها أهملت الأبعاد التراثية التقليدية؟

## 1- التوجهات النظرية في علم الاجتماع :

### التوجهات (المعنى والاصطلاح):

التوجهات (جمع) ومفردها (توجه) وهي مشتقة من الفعل (وجه) ومصدره اتجاهات وتوجهات،<sup>vii</sup> أما من زاوية تأصيل المصطلح واشتقاقه فهو يحتوي على مكونين وكلاهما مشتق من الكلمة اللاتينية "Aptus" وتعني "الأهلية" أو "القدرة" والثانية كما هو مستعمل في الفن وتعني "الوضع" أو الهيئة بالنسبة لشخص أو مكان ما وقد كانت بداية التمييز بين الاتجاهات "الذهنية" و"الحركية" على يد علماء النفس وفي مرحلة مبكرة عام 1918م نظر

توماس وزنانيكي "Thomas" - "Znaniecki" إلى الاتجاهات على أنها تقسيم فردي للقيمة الاجتماعية واستهدف قدر وافر من البحث الاجتماعي، بقياس تلك الاتجاهات الاجتماعية والتنبؤ بسلوكياتها.<sup>viii</sup>

كما أن تنظيم هذه الاتجاهات يتم من خلال مستويات أربعة:

1- المستوى الأول: حيث الاتجاهات النوعية.

2- المستوى الثاني: يتمثل في الآراء **opinions** الثابتة نسبيا.

3- المستوى الثالث: حيث ترتبط الآراء بعضها مع بعض في شكل بنية تكون اتجاهها معينا.

4- المستوى الرابع: حيث ترتبط مجموعة من الاتجاهات بعضها مع بعض مكونة ما يسمى الايديولوجيا<sup>ix</sup> ويلح "كارل بوبر" في كتابه "المعرفة الموضوعية" على أن الاتجاهات العامة (**les tendances**) لا تمثل وحتى وإن وجدت قاعدة للتنبؤ التاريخي ويثير من هذا الشأن سببين :

1- إن الاتجاه هو قضية تقريرية خاصة وليست قانونا كونيا، فهي دوما محدودة بإطار الزمان والمكان، حتى أن الاتجاه الذي يبقى لمدة قرون يمكن أن يتغير في مرحلة ما لاحقة.

2- إن الاتجاهات، باعتبارها قضايا تقريرية خاصة "**proposition d' existence**" لا يمكن أن توجد إلا في علاقة ببعض القوانين أو الشروط الأولية، وبهذا فان وجودها يظل مشروطا ببقاء القوانين والشروط الأولية الخاصة،<sup>x</sup> أما من حيث الممارسة العملية فقد انطوى قياس الاتجاهات على استخدام استجابات لفظية معزولة أي الاستبيانات (**Questionnaires**) والمقولات.<sup>xi</sup>

2- أهم الاتجاهات النظرية الخاصة بعلم الاجتماع الغربي:

لا يمكن في الواقع وضع حدود دقيقة لأي فرع من فروع المعرفة الاجتماعية، فالعلوم الاجتماعية تعالج قضايا الإنسان والمجتمع والتاريخ، مما يجعلها تتداخل مع بعضها بالضرورة عند معالجة ومع هذا فإنه من الضروري أن نحدد ميدان كل علم من العلوم

الاجتماعية لأسباب تتعلق بالتخصص العلمي وتقسيم العمل بين الباحثين،<sup>xiii</sup> وفي هذا الإطار يمكن أن تقسم النظرية الاجتماعية كما يلي:

**1- النظريات الوصفية والتفسيرية:** قد تكون النظرية وصفية في مجملها، فتفتقر إلى نموذج قياسي تفسيري، بينما أخرى تكون عكس ذلك حيث يتم بناءها على هذا الأساس، فبالرغم من شمول النظرية على التفسير، فإنها تعجز عن تقويمه وذلك لغياب النموذج القياسي أو عدم وضوحه،<sup>xiii</sup> ففي نظر "P.bordieu" يرشح عالم الاجتماع نفسه لإقامة مبادئ تفسير وفهم عامة صالحة لكل ذات بمن فيها، بالطبع الذي يعرضها وهذا من خلال إسقاط خاص للعمل السوسيولوجي الذي يمر في لحظة نظرية بالضبط لـ "بناء موضوع البحث" ... ففهم الظواهر الاجتماعية لفاعل أو لجماعة من الفاعلين، يمر عبر التحليل الموضوعي لمواقع الأفراد والتي هي متعلقة بمنطق الحقل الذي يستقر فيه... على شكل إتقان نظري للفاعل أو عملي للشروط الاجتماعية التي هو نتاج لها.<sup>xiv</sup>

**2- النظريات الأيديولوجية والنظريات العلمية:** قد يكون سياق النظرية الأيديولوجية على نحو واضح أو قد تكون النظرية موجهة بالمنهج العلمي، فهي تؤكد على صياغة الفروض التي يمكن اختبارها امبريقيا، فلم تعكس إيديولوجيا الالتقاء والاستمرار للظروف القومية والدولية العامة وحدها ولكنها تلاهمت مع الدعوة المتزايدة لإضفاء الطابع المهني على علم الاجتماع، كما أن المسألة الأيديولوجية تجعل الباحث السوسيولوجي يطرح مسائل هامة بين الأقطاب المتناقضة وفقا لمعادلة التمرد والتحرر: للتأكد أن العالم الاجتماعي يتحمل معنيين يشتغل في سياقهما، فهو يدرس الممارسات في إطار تدليس موضوعي - عصيان الموضوع والقوة والسلطة معبرا عن دلالات التجارب الموضوعية المعاشة والخاصة بالفاعلين.<sup>xv</sup>

**3- النظريات الموضوعية في مقابل النظريات الذاتية:** يستحيل أن يتشكل اتجاه الاستنباط في صورته الصافية ونموذجه المجرد، ففي حالة ممارسة المنظر ثنائية: الفكرة/الملاحظة، فيبدأ بالفكرة والتفكير، ليصل إلى النظرية عن طريق التخيل والحدس والإلهام، أو الإشراق المتجسد في الملاحظة ثم يأتي منظر آخر ليثبت أن تخيله وحدسه لم يكونا في الفراغ وإنما تضمن الوقائع المحسوسة المتعلقة بالطبيعة والإنسان وهذا ما يؤكد استحالة وجود اتجاه الذات والموضوع في صورته النموذجية الخالصة،<sup>xvi</sup> كما يمكن إدراك هذا التمييز من خلال

الإشارة إلى إسهامات علماء الاثنوميتودوجيا من ناحية ورواد الاتجاه البنائي الوظيفي من جهة أخرى. xvii

4- البنائية الوظيفية: تقوم النظرية البنائية الوظيفية على أساس فكرة الترابط بين العناصر المتساندة في الوحدات المكونة للبناء الاجتماعي ويتطلب ذلك التعرف على طبيعة العلاقات التبادلية داخل النسق ... حيث يتحقق ذلك باستمرار البناء الاجتماعي وهذا يتطلب بالضرورة وجود عناصر بنائية تؤدي وظائف معينة من شأنها أن تحدث مجموعة من التغيرات في النماذج السلوكية داخل هذا البناء xviii.

5- نظرية الوحدات الصغرى ونظريات الوحدات الكبرى: فقد تركز على مستوى فردي محدد "الوحدات الصغيرة" أو على مستوى عام ومجمعي (الوحدات الكبرى) لتميل أغلبها إلى النوع الأخير، بينما تركز التفسيرات في علم النفس على المستوى الأول، فمستوى الوحدات الكبرى يصبح أكثر عمومية عند تفسير الظواهر الفردية، بينما تعاني تحليل الوحدات الصغرى من المشكلات العلمية<sup>xix</sup> ففي هذا السياق يقول "كولينز":

"أومن بأننا سوف نتعلم كثيرا عن النظم الكبرى من خلال المداخل الاجتماعية الصغرى، لأن تلك المداخل بنزعتها الأمبريقية، تسمح لنا بنظرة سريعة عن الواقع الذي نتحدث عنه ومن المؤكد أننا لن نفهم هذا الواقع برمته عن طريق التسجيل المجهرى للتفاعل المباشر وربما نكتفي أن نبدأ ذلك لدراسة النظم الكبرى.<sup>xx</sup>

### 3- المعيار المعرفي الذي يحدد الاتجاهات وخصائصها:

تحاول المدرستان الشيئية والتجريبية أن تنتقلا علوم الطبيعة، في موضوعها العلمي أو منهجها العلمي إلى علم الاجتماع، أما المدرسة الوضعية، فتحاول أن تنقل علم الاجتماع إلى علوم الطبيعة، فعند المدرستين الشيئية والتجريبية لا تهم نقطة الوصول التي تنتهي المحاولة إليها، عكس المدرسة الوضعية، فينبغي لهذه النقطة في علم الاجتماع أن تتطابق وتتماثل مع النتائج التي تصل إليها العلوم الطبيعية.<sup>xxi</sup>

فمع ذلك فقد تم استخدام مصطلح "الوضعية" كمعنى باق ومستقر وفي هذا المعنى حدد "جيدنز" "Giddens" مسلمتين:

- ❖ إن الإجراءات البحثية في العلوم الطبيعية يمكن تطبيقها مباشرة في العلوم الاجتماعية والوضعية هنا تعني أن العالم الاجتماعي يلاحظ ويتأكد من الحقيقة الاجتماعية.
- ❖ إن النتائج المتحصل عليها يمكن أن تصاغ بطريقة متساوية مقارنة بما قد يتوصل إليه العالم في العلوم الطبيعية، حيث أساليب التحليل يجب أن تصاغ على هيئة قوانين معممة، لتتضمن الوضعية هنا نظرة إلى العالم الاجتماعي كمحلل أو مفسر لموضوع الدراسة.<sup>xxii</sup>

فإذا طرحنا داخل اتجاه الموضوع السؤال: ما هو الموضوع من العلم؟ فتكون الإجابة: الواقعة **Fait** هي الموضوع لتمثل المعطي **donné** المقدم للباحث و ذات معنى وصفي وعيني ومستقلة عن العقل وتدرک بالحواس وإذا طرحنا داخل اتجاه الاستقراء، السؤال: ما هو المنهج في العلم؟ تكون الإجابة: المنهج الاستقرائي هو المنهج، وخطواته المرتبة تصاعديا في السبيل المنهجي.<sup>xxiii</sup>

ففي هذا السياق يميز "كارل بوبر" بين نوعين من المعرفة: المعرفة الذاتية والمعرفة الموضوعية، فالأولى تعبر عن الحالة المرجعية للتيار المتشكل... على شكل مقولات من النوع: "...أعرف أنه لا يمكننا البرهنة على أي نظرية"، فهي معرفة الذات حول أي شيء، أما في الثانية، فالمعرفة قد تعبر عن علاقات منطقية بين الأفكار، فنعرفها على أنها خارجة عن الروح أو أدمغة الأفراد وناقية لأي شيء داخلي.<sup>xxiv</sup>

كما أن التنظير يتجسد وفق اتجاهين قبل علميا "**Préscientifique**" يقومان على "تصنيفات" هي مصطنعة بقدر ما هي دقيقة، مع "إضافة" أعداد العناصر القديمة إلى بعضها البعض بصورة منظمة، تستهدف إنتاج تركيب نظري يعتبر نظرية عامة<sup>xxv</sup> ولذا تعد النظرية أكثر شمولية من الفرض - إذ لا يشترط أن تكون النظرية مدلا عليها ودليل ذلك أننا نتحدث عن نظريات "ثبت" بطلانها ونتحدث عن نظريات لا يعتد بها على وجه الإطلاق، لتعبر عن مجرد تخمينات، فهي لا تقابل الفرض بل تقابل الواقعة أو الحقيقة الجزئية، الأمر الذي يعني أن علامتها الفارقة لا تكمن في وجود أدلة تشهد على صحتها بل تكمن في شموليتها<sup>xxvi</sup>، فعند رسم الحدود بين النوعين النظري والتجريبي للبحث ينبغي أخذ ناحيتين بعين الاعتبار:

أولاً: قابلية المواضيع، صفاتها وعلاقتها بالنسبة للمعينة التي تشمل ناحية المعرفة المباشرة والتأثير المباشر من جانب الموضوع على أعضاء الحواس.

ثانياً: أنواع الصلات الفعلية التي تتعكس في المعرفة (المعرفة المسجلة للواقع والشاملة)<sup>xxvii</sup>، كما يمكن للمعرفة التجريبية، أن تصبح تنظيرية ويمكن كذلك للمعرفة الإدراكية أن تبدو وضعية، فإذا كنا نعني بالوضعية رفض المغامرة بفرضيات جديدة والتوجه خارج سبل معروفة، فإننا سنقول عندئذ إن المعرفة الحكيمة والمتماثلة هي معرفة وضعية، ففي هذه الحالة- قد تحدد المعرفة التنظيرية خلافاً لذلك، باستعدادها للقيام بمبادرات جديدة، فإن ما يشجع الشكل التنظيري للمعرفة أكثر مما يشجع شكلها الوضعي- ليس المعرفة الفلسفية وحسب، بل المعرفة التقنية من جهة والمعرفة العلمية من جهة ثانية.<sup>xxviii</sup>

#### 4- الحس المشترك:

يعبر الحس المشترك عند "Aristot" والمدرسين عن القوة التي ترتسم فيها صور الجزئيات المحسوسة وتردها إلى الموضوع بعينه، وفيه يمكن التطرق إلى عدة محطات:

1- أخذ به المدرسيون حيث اتخذوه قوة تعبر عن مركز الحواس، يقول الجرجاني:...

الحس المشترك هو القوة التي ترتسم فيها صور المرئيات...

2- أما عند أصحاب المدرسة الاسكتلندية فيراد به: "الفهم المشترك" وهو مجموعة من الآراء المشتركة وعليه قامت فلسفتهم الواقعية.

3- يطلق في الاستعمال الحديث على مجرد المشبوهات والآراء المسلم بها،<sup>xxix</sup> فهذا المفهوم يثري الفارق الدقيق للمعنى المقصود، بعبارات مرادفة لـ: "الحس الجيد" أو "الإشراقات المبسطة" فعند "Kant" كل احتفاظ للأفكار المباشرة للحكم خالصة لخمسة معاني، إضافة إلى معاني أخرى عامة، فتتم بالمطابقة المباشر بتجاهل الإدراك ويعبر عليها بالمصطلحات (Common. Sense - sensus - communis sens Commun) لتعبر من جديد على ملكة ذهنية تسمح بالحكم على الخاصية بكيفية مباشرة (أنية) وبدون استدعاء الحجج العقلانية أو البراهين والأدلة الأمبريقية المتعلقة بكل ما هو (صحيح / خطأ) "sensus-veri"، (الحسن / القبيح) "sensus-boni" ثم الجميل (-sensus)

(pulchri)<sup>xxx</sup> أما من المنظور السوسولوجي، فهو يعني ذلك العلم الذي يفترض فهما" تأويليا للنشاط الاجتماعي كما يتم ذلك بالتفسير السببي لمسار هذا الأخير وأفعاله، فالنشاط يعبر عن سلوك إنساني (يخص فعلا خارجيا قد يعبر عن الإهمال والتسائد)، فحين يتواصل الفاعلون بمعانيهم الذاتية وبنشاط اجتماعي يتم استحضار الآخر مستهدفين بذلك تصويب المعاني التي تخص هؤلاء الفاعلين.<sup>xxxi</sup>

إن العلوم الاجتماعية تتميز اليوم بانفتاقها إلى إطار نظري عام، بالمعنى الحقيقي من هنا يتصف انطباعها بالوصفية **Descriptivisme** فهي لئن كانت تعبر عن تكديس للدراسات الخاصة والمفيدة في أغلب الأحيان حول أكثر المواضيع تنوعا، توحى أيضا بضياح هويتها وتداعياتها على نحو يستحيل تداركه، حيث سيؤدي بنا إلى الطرح التالي: إن إخفاق العلوم الاجتماعية المعاصرة هي محاولة الإنشاء إطار عام قابل لان يضمن لها الهوية، فالفرض عائد إلى ارتباطها بنظرية في السلوك الإنساني، قابلة للجدل وبصورة ضيقة للعقلانية، مما يحكم عليها بتقديم تفسيرات هشة للظاهرة الاجتماعية.<sup>xxxii</sup>

فإذا كانت الخطة العلمية تستوجب ضرورة القطع بين الحس المشترك، فإنها لا تفترض كذلك إدراكا أعمى للإسقاط والقطيعة مع المعرفة العفوية، حيث يطمع عالم الاجتماع إلى تجاوز ذلك حين يمنح نفسه الوسائل: ذلك بفضل معطيات إحصائية لمقارنات وتعميمات، حتى يمتلك ثانياة الشروط الاجتماعية للإمكانية، ليمدها على هذا النحو بأساس ما، فالإسقاط السوسولوجي يساعد على إعادة تأويل التجربة الدوكسية بإبعادها، إنها لا تؤدي إلى تحليل الدلالات المعيشة كبقايا لا جوهرية وغير قابلة للتفسير، فالدوكسا قد حصل تتميمها وتعديلها وإعادة تأويلها، فهي بعيدة أن تكون سوى عائق أمام المعرفة، إنها تشارك في العالم الاجتماعي.

فينبغي لهذه الصفة أن تؤخذ كموضوع للتحليل،<sup>xxxiii</sup> فالسوسولوجيا كحس مشترك وكشكل له خاصية في المعرفة، يستدعي إلي عدم مزج القواعد السوسولوجية بتلك المتعلقة بشكل المعرفة، فمن أجل ذلك يكفي أن نصرح وبوضوح لآخر القواعد المتعلقة بالتحليل التاريخي لسير الحياة وقواعد التفسير السوسولوجي في حد ذاته - بعبارة أخرى نأخذ بعين الاعتبار

للخطابات في خالص مستواها، تلك التي لا يمكن توضيحها (تبسيطها) من خلال آليات إعمالها. xxxiv

كما أن اللغة السوسيولوجية تكون عرضة للتلاعب، فهناك سوق لغوية تتداول في الفضاء الاجتماعي والذي قد يكون بدوره المجال الذي يوظفه الباحث السوسيولوجي للقيام بدراسته الميدانية، فهو يتعامل مع تنظيم اجتماعي متعرض للتغيرات والتحولات الثقافية والدينية والسياسية، فالمماثلة النمطية بين كل ما هو حقيقية اجتماعية وتمثل اجتماعي لا يعكس فعلا الواقع بحكم أن لغة التواصل لا تمثل الوعي الحقيقي بالظاهرة الاجتماعية المدروسة... كذلك نجد علي سبيل المثال كلا من الإذاعة وكبريات الصحف خاصة هي التي تجعل البحث العلمي المزعوم يقوم بوظيفة الحس المشترك وبالخصوص الرأي العام ومدا قداسة أحكامه حيث نستحضر الجانب الغير العلمي، أين يتم الاقتداء بالرأي العام دون الأخذ بعين الاعتبار الفروق التي ينطوي عليها أو ما يؤدي إلي نفس النتيجة، مع أخذه جزءا دون اعتباره كإطار للفئات الاجتماعية المتباينة فنحن حين نبحث عن رأي الأغلبية في بلد ما، فإننا نضع أنفسنا في إطار منطق الديمقراطية القائمة على الأغلبية دون أن نكون بذلك قدما تفسيراً سوسيولوجياً له\*.

فالابستولوجيا التقليدية التأسيسية تسير على افتراض أن كل الإسهامات في الخطاب المعين ممكنة القياس بالمعيار النفسي - أي يمكن إخضاعها لمجموعة من القواعد لتخبرنا كيف يمكن الموافقة العقلية أو ماذا سيحسب المسألة في كل نقطة، عندما تبدو العبارات متضاربة كما يرفض "رورتي" هذا الافتراض، ففي نظره يجب الاعتراف بأن كل فهم لا محال بأن يعمل (داخل إطار مفهومي) معين ويمكن للباحث التأولي أن يقدم التحليل والتفسير باستغراقه في رؤية معينة للعالم ولكن لا يمكن له أن يصدر حكماً "موضوعياً" من الخارج إن جاز التعبير مع استخدام كلمات التبجيل، فهي ليست أكثر من التعبير عن الاتفاق بين الباحثين واستحضار المعايير الطبيعية. xxxv

كذلك يتيح هذا البرنامج بما ينشئه من تميزا وصلات بين العقلانية الأداتية من جهة والعقلانية المعرفية والأخلاقية من جهة أخرى، وذلك بتجنب الانتقائية الساذجة التي ترى أن الإنسان السوسيولوجي **Homo sociologicus** وكأنه يختار وسائله عقلانياً وينصاع إلى غايته وقيمه ومعتقداته، تحت وطأة القوى الكامنة وذلك بإنشاء القطيعة التي لم تعد

موجودة في أيامنا، ما بين معطيات عمياء بسبب افتقادها المفاهيم، هي معطيات علم الاجتماع ومفاهيم جوفاء هي مفاهيم الفلسفة التي تدعي "تحليلية".<sup>xxxvi</sup>

إن هذا كله سيجعلنا نبتعد عن المسألة التلقائية أي عن علم الاجتماع التلقائي ولغة الخطاب العلمي المتعلقة بالا دواة البحثية التي يوظفها الباحث السوسيولوجي، سواء كانت استمارة ومقابلة أو ملاحظة أمبريقية وبالخصوص فيما يتعلق بتوجيه عمومية الحس المشترك إلى نماذج بحثية عملية تعبر علي **الاجماع العلمي**، ففي هذا الإطار لا يجب أن نتعامل مع الحقائق الكيفية والكمية في إطار النظرة التخصصية فقط بحكم إننا نزوج نظريا بين كل ما هو اجتماعي بما هو نفساني ولا نعي فعليا درجة الانزياح التي لا تتطلب تطويقا للمتغيرات الدخيلة فقط، بل وجب الفهم الماوراء معرفي أو التصوري للفرد المبحوث في سياقه الرمزي الدلالي.

إن "الذوات" هي في الواقع عوامل تتحرك بالممارسة والمعرفة مزودة بحس عملي **sens pratique**، فهو نظام مكتسب من الأفضلية ومبادئ الرؤيا والتقسيم ( ما نسميه في العادة الذوق) ومن بنى معرفية دائمة" التي هي في الجوهر نتاج إدماج البني الموضوعية" مع استحضار صورة للفعل توجه عملية الإدراك الموقف - السمياء **habitus** 'l هي هذا النوع من الحس العملي بما ينبغي عمله في موقف معين،<sup>xxxvii</sup> فتحديد المعاني في هذا الإطار يعبر على عدة دلالات ورهانات تجسد في النقاط التالية:

1- معاني المنظور الذاتي للواقع.

2- من خلال فاعل في حالات تاريخية معطاة.

3- يتجسد كمعاني ذاتية المنظور تخص بناء مفهومي لخالص نمط ، كما أن الحدود بين نشاط هذه المعاني وسلوك ردة الفعل، يشترك في معاني ذاتية لترسو على شكل(عدة حالات لصيرورتها النفسية - الفيزيقية).<sup>xxxviii</sup>

ففي هذا العمق من البدهاة المتروكة في حالة إضمار، يوجد حسب ما يوضح "P-Bourdieu" "اللامفكر فيه بحكم القانون" سياسيا مثلا، المتعذر تسميته الطابو والمشاكل التي لا يمكننا الاهتمام بها... و"ما لا يسمح جهاز التفكير في التفكير فيه،" لكن انخرط

اللامفكر فيه لـ (المسلم به) المميز قصد المشاركة في **Doxa** ماهو أيضا إلا  
خاصية جوهرية لكل حقل اجتماعي (حقل سياسي، حقل علمي، حقل أدبي ...) محفور في  
هذا الفضاء الشامل:

« كل الناس المرهونين إلى حقل ما لديهم عدد من المنافع المشتركة الأساس وعلى سبيل  
العد لا الحصر، كل ما هو مرتبط حتى بوجود الحقل - أعني ما يضع الحقل لنفسه ...  
فكل الحقول تنتج مجموعة استعدادات عملية ومسلّمات مضمرة ومبادئ وقسمة **Nomos**  
حيث تستوقفنا البدهة العمياء معتمدة على وهم المشاركين »<sup>xxxix</sup>

ولكي نحسن فهم المعاني الواردة، من الضروري أن نستحضر جوهر السلوك الغير مفكر  
فيه، أين هناك ميل إلي الظن أن الفعل **action** هو مرور ثابت من غير المفكر فيه  
**Irréfléchi** إلي الانعكاسي **Reflexive** من العالم إلينا نحن ، فنفهم الموضوع وهو  
وعى للعالم الغير مفكر فيه، ثم ندرك أنفسنا وأمامنا موضوع يجب حله علي شكل انعكاس،  
فانطلاقا من هذا الانعكاس نتبنى فعلا فنتمسك به كانعكاس لننزل بعد ذلك في العالم لننفذ  
الفعل - الغير مفكر فيه - بدون أن نأخذ بعين الاعتبار سوى غرض المفعول.<sup>1</sup>

##### 5- المفهوم السوسولوجي كنسق بنائي للواقع :

نعني بالنسق البنائي ترتيب المواضيع تدريجيا بحيث تكون مواضيع كل مستوى مبنية انطلاقا  
من المستويات الأسفل منها ونظرا إلى أن القابلية للاختزال تتصف بالتعدي، فإن كل  
مواضيع النسق البنائي مبنية بشكل غير مباشر من مواضيع المستوى الأول، فهي تشكل  
أساس النسق ... عندئذ تكون النظرية فرضية استنتاجية، عندما تكون عباراتها مصفوفة  
علي شكل نسق بنائي يتكون أساسه من المفاهيم الأساسية - بعبارة أخرى منح الأولوية  
لاستنتاج العبارات من المسلّمات<sup>x</sup> وفي هذا الإطار يجب الحذر الاستمولوجي، حين نضع  
تمييز أولي بين كل من الجهاز لمفاهيمي العلمي والجهاز لمفاهيمي الإجرائي، فكل من  
هذين الجهازين له جذور وامتدادات في الآخر، كأداة يتناول كل منهما المجتمعات الإنسانية  
والجدلية الاجتماعية وأساليب الصيانة الاجتماعية<sup>xii</sup>، فنحن عندما ننطلق من تصور فكري  
حول أي ظاهرة اجتماعية، نتبعها علي المستوى السلوكي والمنهجي بعملية استقراء - أي  
الانتقال إلي الملاحظة الامبريقية والعكس أحيانا، فأين مكانة الوعي والذات من هذا، ببساطة

الظاهرة الاجتماعية ما هي إلى تسلسل مجموعة من الوقائع، فلذلك يجب التمييز بين الطابع الواعي واللاواعي للبناء المجتمعي، فالبناء النسقي يعكس الحالة الإجرائية للمفهوم ولكن في وضعيته المعيارية فهو يبرر الظواهر الملموسة ولا يفسرها لذلك ليفي ستروس يؤكد على أن مصطلح البناء المجتمعي لا يتعلق بالوقائع التجريبي وفيه يمكن التمييز بين البناء المجتمعي والعلاقات المجتمعية، فالعلاقات المجتمعية هي المواد الخام التي تشكل منها النماذج **Modèle** التي تؤلف البناء المجتمعي والذي لا يمكن رده أو اختزاله إلى جملة العلاقات المجتمعية، تلك التي تخضع بدورها للوصف في مجتمع معين ... فيمكن للنموذج البنائي أن يكون واعيا أو لاواعيا دون أن يؤثر هذا الاختلاف عليه<sup>xliii</sup> - عبارة أخرى :

تتعلق المسألة الرئيسية بإمكانية إعادة بناء عقلي لمفاهيم كل مجالات المعرفة، باعتماد المفاهيم التي تحيل علي المعطي المباشر - أي : إعادة البناء العقلي الصرف عن تعاريف جديدة للمفاهيم القديمة، فهذه الأخيرة لم تصدر عادة من طريق صياغة إرادية، بل عن تطور تلقائي ولاواعي قد يزيد أو ينقص، فيجب أن تفوق التعريفات الجديدة تلك القديمة من حيث الوضوح والدقة، بحيث تتلاءم مع بنية نسقيه من المفاهيم.<sup>xliiii</sup>

## 6- النظرية بين التحديث والعودة إلى الأصل المشترك:

العلم متصل الحلقات تشيد نظرياته بعضها فوق بعض كما لا تلغي النظرية الحديثة سابقتها القديمة بل تعدلها وتطورها، فالتوصل إلى نظريات علمية يعتمد على نظريات أجيال سابقة فأى نظرية

يمكن الرجوع إلى مقدماتها أو التقدم نحو نتائجها قد تحمل في جوفها مجموعة نظريات، بعضها كامن فيها لأن البعض يمثل مقدمات لها والآخر قد يمثل نتائجها، فلقد حررت المناهج التجريبية والاستقرائية الباحث العلمي من تلك المعتقدات ذات النفوذ القديم وجعلته يحتكم فقط إلى ملاحظاته الخاصة كما يعتمد على حواسه و على قواه العقلانية، فلا شيء يتوسط بين الطبيعة وبين الباحث العلمي التجريبي العقلاني، فلقد طبقت هذه النظرية على مواضيع العلم الطبيعي كما تم توسيع نطاقها لتشمل أيضا المؤسسات الإنسانية في القرن الثامن عشر، حيث رغب "كوندورسييه" و"فيلا تجيري" و"سميث" في أن يضعوا علما يختص بدراسة الإنسان، متحررا من عادة العقل البشري<sup>xliiv</sup> كما أثبت "ر. ميرتون" إمكانية هدم

النظرية، حيث درس مدى تقدير الناس لمراكزها بالنسبة لمراكز الآخرين، و تغيير اتجاهات الجنود مواقفهم بالرجوع إلى جماعات أخرى، فتستخدم كأساس للمقارنة بين جماعات لها نفس المركز أو المقارنة بين مراكز أعلى أو أدنى وإذا ما أجبنا على هذه المشكلات سنحصل على نظرية جديدة عن جماعات المرجع تختلف عن النظريات السابقة<sup>xiv</sup>، لكن هنا يجب أن نتساءل، أين مكانة المؤسسين كمرجعيات فكرية لها دور هام في تجديد الشرح النظري وبلورته؟ وهل يتفق علماء الاجتماع من المنظرين المعاصرين مع "وايتهيد" - **Whitehead** فهو القائل أن على أي علم أن ينسى مؤسسه؟ يبقى أن ما يستخلصه هؤلاء العلماء هو أقرب مما قد يظنه البعض إلى مجاميع القرون الوسطى: فهل معيار التراكمية التي تضحي هذه المجاميع من أجله ليختلف من مكونه كتأويل جديد وفقا لقاعدة التقليد الثقافي، مغايرا للمبدأ السكولاستي الذي يقضي بالجمع بين المتعارفات<sup>xvi</sup>؟

فالعالم لا يبدأ من عدم بل يبدأ من حيث انتهى العلماء السابقون، فالعلم متصل الحلقات تشيد نظرياته بعضها فوق بعض ولا تلغي النظرية الحديثة سابقتها القديمة بل تعد لها وتطورها.

فالتوصل إلى نظريات علمية يعتمد على نظريات أجيال سابقة، فأى نظرية يمكن من خلالها الرجوع إلى مقدماتها أو التقدم إلى نتائجها، فهي تحمل في جوفها مجموعة نظريات بعضها يمثل مقدمات لها والآخر قد يمثل نتائجها<sup>xvii</sup> بكلام آخر إنها ليست مسألة أفكار جاهزة ومسبقة عن مناهج ونماذج يمكن تطبيقها، بقدر ما هي مسألة الجدة و الأصالة أو الابتكار في الخطاب أو الطرح أي مسألة افتتاح أفق للتفكير واجترار لغة مفاهيمية أو ابتداء ممارسة فكرية أو صياغة إشكالية وجودية، المهم أن تهجم على المرء الأفكار وبعدها يأتي دور المنهجية والنمذجة وما سوى من ذلك من تقنيات البرهنة وأساليب الترتيب والتوليف، فالرجوع إلى الأصل أمر ضروري، ولكن على أي باحث أن يتنازل عن ذلك في فترة لاحقة لكي لا يسقط في فخ التكرار<sup>xviii</sup> وفي هذا الإطار يستوقفنا تصور "Mircea-Iliade" حول مسألة الأصالة، حيث يؤكد هذا الأخير عن تنامي التفكير في الأصول والذي يتزامن مع المد التصاعدي للإيديولوجيا المادية في الغرب، خلال القرن التاسع عشر، ففي إطار كتابه الشهير -الحنين إلى الأصول **La nostalgie des origine** تحدث عن ظاهرة سماها بـ"هوس الأصول" حيث أكد أنه خلال هذا العصر، كانت جل التأريخات الغربية مهووسة

بالبحث عن الأصول فالأصل تطور " شيء ما تحول إلى مستسخ "Cliché" حيث كتب علماء كبار عن أصل اللغة والمجتمعات الإنسانية والفن والمؤسسات،<sup>xlix</sup> فالعودة إلى أصول النظريات المترابطة تتجلى في اتجاهين: أحدهما رأسي والآخر أفقي، أي الاتجاه نحو التعمق في بحث الظواهر نفسها... مع البحث على الظواهر الجديدة، أما الاتجاه الرأسي ففيه يعود العلم إلى البحث عن الظواهر نفسها والتي سبق له وأن بحث فيها ولكن من منظور جديد، أما الاتجاه الثاني الأفقي فيتجه فيه العلم إلى التوسع والامتداد نحو ميادين جديدة، ذلك لأن العلم بنطاق محدود من الظواهر، هي وحدها التي كان يعتقد أنها خاضعة لقواعد البحث العلمي.<sup>1</sup>

فالتعامل مع التراث النظري السوسولوجي العربي ينطوي على غيرية تؤسسها ذكريات تاريخية ومواقف معينة ومعطيات ثقافية، ما يفسح المجال لنوع من الرؤية للأخر (الإسلام)، سماها الباحث الاجتماعي الفرنسي بيرتراند بادى "بالغيرية المنهجية" واقترحها كوسيلة لفهم الآخر فهما قوامه الاعتراف به ومقارنة كيانه ومراحل تطوره بما تنسه "الأنا"/الغرب لنفسها من خصوصية وتاريخ<sup>ii</sup>، فإذا كانت التراكمية الأميركية والنظرية، هي الآن هشّة وغير ثابتة وإذا كان تنوع وتعدد المقاربات والنماذج هو بمثابة القاعدة فهناك عدة مراجعات في العمق حيث يسمح هذا الأخير بالتأكد من عدة سبل قد ارتسمت، أين الطريق الطبيعي والتطوري الذي يستند خصيصا إلى العلوم المعرفية، نظرية التطور ونظرية الأنساق.

أما الطريقة الأخرى وبفعل تمديدها لنقاش فلسفة العقل حول المكانة القصديّة، المنشغلة بالمعنى المعطى من قبل الفاعلين لأفعالهم فهي حساسة اتجاه الطابع اللا إختزالي للذاتية،<sup>iii</sup> فلذلك يبرهن "هيرماس" أن السوسولوجيا تشكل النوع الوحيد الذي اضطر لدمج جميع ملامح إشكالية العقلانية أي المظهر المنهجي في البحث الأميركي، حيث أمكنها أن تطور لحظة وعي، وفهم عبرها يعيد المحلل بناء أسباب الفاعلين المظهر "الميتا نظري" أي استطاعت إقامة تصنيف لأنماط نشاط اجتماعي والذي يتوجب أن يحتوي بالخصوص أولئك الذين يفترض أن يصيروا عقلانيين<sup>iiii</sup> ثم لماذا يكون بإمكاننا وبشأن الميدان ذاته وبمعطيات متشابهة داخل فرع علمي معطى أن نعد نظريتين اثنتين أو أكثر لا قياسية نوعا ما تكون غير قابلة للاختزال؟ هذا وإذا ما اعتبرنا أن كل واحد يمكنه أن يطبق مقاييس علمية قاعدية، من حيث احترام المعطيات وتناسق التأويل، حيث لا يرتبط مبدأ التمايز ذلك، لا بالصحيح ولا بالخطأ بالعلمي وباللاعلمي لكنه يتوقع داخل رؤية من العلمية المتقاسمة بشكل عام بل

بالمقدمات التفسيرية المختلفة<sup>iv</sup> وخير دليل على هذه الرؤية المتقاسمة ما أكد عليه " p. Bourdieu" الخاصة بأحد تدخلاته فكانت كما يلي:

" من السهل ومن المريح تماما أن نكتفي بتقليد ما فلقد أدت "الماركسية" ولسوء الحظ وظيفة غير مقنعة ... إن الخلاصة غير ممكنة إلا على حساب إعادة النظر في جذرية تقود إلى مبدأ التضاد الظاهري فعلى سبيل المثال: ما نراه من تراجع للماركسية الاعتيادي نحو النزعة الاقتصادية... حيث غير "ماركس" التمثيل العيادي للعالم الاجتماعي مبينا أن العلاقة السعيدة والتي هي علاقة الأبوة على سبيل المثال تخفي (علاقات قوى) عكس ذلك عند "ماكس فيبر" ينكر أن الانتماء للعالم الاجتماعي يفرض جزءا من الاعتراف بشرعيته وهنا يتمسك الأكاديميون بتأثير المنصب بالاختلاف ، حيث يفضلون المقارنة بين المؤلفين على أن يدمجهم، فهذا أيسر عندهم لإعداد محاضرات واضحة الجزء الأول: ماركس، الجزء الثاني: فيبر، الجزء الثالث: أنا نفسي ، في حين منطلق البحث يفضي إلى تجاوز التعارض من خلال العودة إلى الجذر المشترك، أي علاقة القوى الاجتماعية بالشرعية"<sup>iv</sup>

فعلي الباحث أن يتخلي عن كل فكرة مسبقة يمتلكها عن الواقعة والانطلاق من كونه لا يعرف شيئا عن جوهرها، وأن يجهل تماما كل ما يتعلق بخصائصها وطبيعتها وأن يتجنب كل الميولات والتشيعات القائمة بينه وبين النسق الذي يحويه ويؤكد علي ذلك اميل دوركايم قائلًا:

... يجب علي عالم الاجتماع ان يتحرر من تلك الآراء البديهية الكاذبة التي تسيطر على عقول العامة من الناس، وأن يزيل عن كاهله نبر قواعد التفكير التقليدي، تلك القواعد التي تنقلب مستبدة في نهاية الأمر ... لكن هناك بعض لأسباب التي تجعل التحرر من سيطرة هذه الافكار الشائعة في علم الاجتماع غاية من الصعوبة، ذلك بان العاطفة كثيرا ما تساهم في عقم هذه الأفكار، فاننا نتشيع في الواقع لمعتقداتنا الدينية ولعاداتنا الخلقية اكثر لتشيعنا لواقع العالم الطبيعي ...<sup>ivi</sup>

ففي هذا السياق يتحدث دوسارتو عن قطيعة بين موطن الدلالة الأيديولوجيا أو التصور اللاهوتي ونشاط الانتاج الاجتماعي، حيث تقوم الممارسة بإدراج تغيير في نظام الأشياء، فترتد بموجبه التصورات إلى مجرد مفعول تراثي وليس إلى فاعل مرجعي، لتتشكل القطيعة علي شكل غيرية تعبرعلي نظم وقيم أخرى، تستقل فيها الممارسات عن النظام الرمزي السابق، لتتخرط في نظام رمزي جديد ... علي شكل ابتكار نظام في القيمة ... ذلك ما يعبر عنه ميشال دوسارتو بالجملة: **يصبح للحركة الأولوية على المحتوى**، بتعبير آخر ما يتم تحويله من التجارب السابقة، يرتد إلى معاملات أدائية، بعدما كان قوالب نظرية أو معايير معنوية، وبالتالي تصبح الممارسة أولى من محتواها النظري والرمزي وممارستها تعني بلا شك - إزاحتها من تربتها الأصلية نحو أقاليم وتطبيقات جديدة ومغايرة .<sup>lvii</sup>

لكن لو تأملنا في السياق التاريخاني لبناء المعرفة السوسولوجية في الوطن العربي، ستجده لايزال ينغمس في الأهواء والميول ذات البعد الايديولوجي، فلفهم الظاهرة الاجتماعية في الوطن العربي يتطلب منا اعادة صياغة متجددة للأطر المعرفية ولكن من منظور سيكولوجي للعلاقات المتبادلة وبالفعل هذا لن يكون أمرا هينا، فنحن لم نستوعب الحقل الما بعد بنيوي الذي يؤكد بدوره علي شرعنة الاستقلال السلبي كبدل عن الذاتية التي تولى النفس أولوية في المرحلة اللاحقة لفكر ديكرت أو ما يسمى النفس الحرة لذلك يقول دعاة المدرسة الفرنسية :

إننا إذا نقلنا هذا النموذج الكلاسيكي للذاتية المحققة للنفس من مستوي نفس الفرد إلي مستوى المجتمع، فسوف نجد أنها أصل الدافع الداخلي الشمولي.<sup>lviii</sup>

ناهيك عن فشلنا في قراءة الواقع الذي كان من المفترض أن يجمع بين المنظور الحداثي والثرثي، فلقد جاء على لسان ابن خلدون :

العالم في أي فرع من فروع العلم إذا أسلم قيادة عقله لكتابات القدماء دون أن يعمل النقد في محتواها ليفقد الحقيقة من أمام عينيه ومن ثم سوف تغرس في نفسه الحقائق (الأخبار ذاتها) أو المعاني التي أوردتها القدماء وهو في هذه الحالة لن يكشف لنا ما هو جديد وإنما كلامه سيأتي مجرد ترديد لما سبق وأن ذكره القدماء ويقول في هذا السياق: **"الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها (أي النفس) وهذا يؤدي إلى الكف عن التمهيص النظري..."**<sup>lix</sup>

## الخاتمة:

اختلف علماء الاجتماع المحدثون، حول تشخيص المرحلة التي يمر بها التنظير في علم الاجتماع المعاصر، فالبعض يذهب إلى أن الانجازات السوسيولوجية التي تحققت خلال تاريخ هذا العلم يجب أن تخضع لمراجعة شاملة، لأنها وصلت بالفعل إلى طريق مسدود والبعض الآخر يؤكد أن علم الاجتماع الحديث (على الأخص الغربي) يتعرض لأزمة تنظير حقيقية بسبب تجاهله للخبرات الإنسانية التي تشهدها مختلف مجتمعات العالم وأياً كانت التسميات التي يمكن أن تطلق على المرحلة الحالية من تطور علم الاجتماع، فإن هناك عقبات معينة تحول دون تقدم العلم، من ذلك قصور نطاق النماذج النظرية السوسيولوجية وعدم قدرتها استيعاب مختلف أنماط المجتمعات والثقافات وإذا كان لهذا العلم أن يتجاوز هذه العقبات المفروضة عليه فإن عليه أن يتخطى حدود الإكراهات التي تمارسها التيارات الوضعية التحديثية، مع التحرر الإيديولوجي والمنهجي وذلك بإعادة إحياء التراث مع إعادة النظر في النشأة التاريخية لكثير من الظواهر والقضايا التي تعبر عن مسلمات لا تقبل المناقشة، فالاختلاف المنهجي والفكري بين مجموعتي الاتجاهات ينبع من الخلاف حول تصورات الباحث للواقع ورؤية الإنسان للمجتمع، فهو خلاف يتخطى حدود العلم إلى فلسفة العلم.

فإذا كان مفهوم العلم يعني ضرورة استخدام لغة الكم والإحصاء وإذا كانت المفاهيم الكيفية لا تستطيع تقديم مثل هذه البيانات فلماذا لا نصرح بأن الدراسات الإنسانية ليست علماً بهذا المعيار! بل هي فن يعتمد على موهبة الباحث بجوار اعتماده على معرفته الواسعة ومكتسباته القبلية، حيث الاعتقاد الوحيد غير قابل للدحض أو التشكيك، فالارتباط بالمعرفة العلمية هو الارتباط بشواهد الحواس المنظمة من خلال الفروض العلمية والتجريب.

هكذا يتجلى لنا ذلك الهاجس والأزمة القائمة بين المعرفة العلمية والمعرفة التقليدية ولم يكن ثمة فرق كبير بين نظرة العالم لنفسه باعتباره يقبل تقسيماً للتوجهات النظرية، حيث يتشكل

لدينا أصل الجدل القائم والمنطوي على أسبقية المعرفة العامة على غرار المعرفة المحلية... فالفلسفة دوما تنظم وتوجه ، فكل معرفة مكتسبة يمكنها أن تشكل وعيا بتلك التقسيمات النافية لأي علم، فلقد ظل علم الاجتماع الغربي هو الإطار الحاكم لفكر السوسولوجي العربي، بالرغم من اختلاف الظروف في كل أوروبا والمنطقة العربية.

### الهوامش:

- <sup>i</sup> حسن الساعاتي. تصميم البحوث الاجتماعية-نسق منهجي جديد- دار النهضة العربية، بيروت، لبنان: 1982، ص113
- <sup>ii</sup> عبد الباسط عبد المعطي. اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة، الكويت- العدد 1998، 44، ص56
- <sup>iii</sup> ألفين جولدنر. الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي، المجلس الأعلى للثقافة، ترجمة: علي ليله، القاهرة، مصر: 2004، ص123
- <sup>iv</sup> نبيل محمد توفيق السمالوطي. البناء النظري لعلم الاجتماع-مدخل لدراسة المفاهيم والقضايا، دار الكتب الجامعية، طه، الإسكندرية، مصر: 1983، ص03
- <sup>v</sup> أحمد بن نعمان . نفسية الشعب الجزائري- دراسة علمية في الأنتروبولوجيا النفسية، دار الأمة ط 2، برج الكيفان، الجزائر: 1997، ص 186
- <sup>vi</sup> بن عبد الله محمد . سيكوباتولوجيا الشخصية المغاربية. ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، بهران. الجزائر: 2010، ص44
- <sup>vii</sup> مصطفى عبد السميع محمد وآخرون. نفس المرجع السابق، ص219
- <sup>viii</sup> ميشيل مان. موسوعة العلوم الاجتماعية. دار المعرفة الجامعية، ترجمة: عادل مختار الهاوي. سعد عبد العزيز مصلوم، الإسكندرية، مصر: 1999، ص63
- <sup>ix</sup> عبد الغني عماد. نفس المرجع السابق، ص144
- <sup>x</sup> مجموعة من الأساتذة. المعقولية والتاريخ- وقائع الملتقى المنعقد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية. تونس: 30 نوفمبر - 2 ديسمبر: 1990، ص283
- <sup>xi</sup> ميشيل مان. نفس المرجع السابق، ص64
- <sup>xii</sup> فليب جونز. النظريات الاجتماعية و الممارسة البحثية، مصر العربية للنشر والتوزيع، ترجمة: د. محمد ياسر الخواجة، ط1، القاهرة، مصر: 2010، ص19

<sup>xiii</sup> ستيفان شوفالبييه. كريستان شوفيري. معجم بورديو، ترجمة: د. الزهرة إبراهيم، ط1، دمشق، سوريا، 2013، ص249

<sup>xiv</sup> فيليب جونز، نفس المرجع السابق، ص19

<sup>13</sup>Olivier servaient. **L épistémologie pratique chez pierre Bourdieu**, harmattan – p90, France – 2012

<sup>xvi</sup> عبد الله إبراهيم. نفس المرجع السابق، ص36

<sup>xvii</sup> فيليب جونز. نفس المرجع السابق، ص19

<sup>xviii</sup> طلعت إبراهيم لطفي. كمال عبد الحميد الزيات، النظريات المعاصرة في علم الاجتماع، دار الغريب، القاهرة، مصر: 1979، ص37

<sup>xix</sup> فيليب جونز. نفس المرجع السابق، ص20

<sup>xx</sup> الجوهري محمد. دراسات اجتماعية معاصرة، دار المعرفة، ط1، القاهرة، مصر: 2006، ص374

<sup>xxi</sup> عبد الله إبراهيم. الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع، دراسة في فلسفة العلم الإيستومولوجيا، المركز

الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب: 2010، ص58

<sup>xxii</sup> لويس كوهين، لورانس مانين. مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والتربوية، الدار العربية

للنشر والتوزيع، ط1، ترجمة: د. ك حسين كوجك، وليام عبيد، القاهرة، مصر: 1990، ص30-31

<sup>xxiii</sup> عبد الله إبراهيم. نفس المرجع السابق، ص55

<sup>xxiv</sup> Fabien. Blanchot : « **la connaissance objectifé** » de K- Popper- grepa.

Paris. France. Volume 2. N°3. septembre 1999. p 33

<sup>xxv</sup> جان بيار كوت، جان بيار موني. من أجل علم اجتماع سياسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزء الأول،

ترجمة: د. محمد هناد، الجزائر: 1993، ص50

<sup>xxvi</sup> نجيب الحصادي. نهج المنهج، الدار الجماهيرية للنشر، ب.ط، بيروت، لبنان، قيد النشر، ص88

<sup>xxvii</sup> ا سييوف. أصول علم الاجتماع، دار التقدم، ترجمة سليم توما، موسكو، الاتحاد

السوفياتي: 1990، ص48

<sup>xxviii</sup> جورج غورفيتش. الاطر الاجتماعية للمعرفة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر، ط3، ترجمة: خليل

أحمد خليل، بيروت، لبنان: 2008، ص49

<sup>xxix</sup> إبراهيم مذكور. المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية- مصر: 1983، ص72

<sup>xxx</sup> Valentina .gueorguieva. **la connaissance de l'indéterminé- le sens commun**

**dans la théorie de l'action**, thèse doctorat – Québec : aout, 2004, p67

<sup>xxxi</sup> Jean-m- Berthelot. **Sociologie d'un discipline** – texte fondamentaux- de

book, 1<sup>ere</sup> Edition, bruxel, Belgique : 1997, p50

<sup>xxxii</sup> ريمون بودون. أبحاث في النظرية العامة للعقلانية - العمل الاجتماعي والحس المشترك- المنظمة

العربية للترجمة - ط1، ترجمة جورج سليمان: 2010، ص81

- xxxiii بيير بورديو . نفس المرجع السابق، ص 141
- xxxiv Gilles. Houle. **Le sens commun forme de connaissance- de l'analyse clinique en sociologie**- Ed Chicoutimi, Québec- canada ;2004 :p07
- xxxv جون كونتغهام. العقلانية فلسفة متجددة-مركز الانماء الحضري، ط1، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، حلب، سوريا:1997، ص ص.164-165
- \*انظر: جان بيار كوت - بيار مونيي . المرجع سبق ذكره ، ص 29
- xxxvi ريمون بودون. نفس المرجع السابق، ص81
- xxxvii بيار بورديو . نفس المرجع السابق، ص55
- xxxviii J- M- Berthelot. **Op.cit.** P50
- xxxix بيار بورديو . المرجع سبق ذكره، ص142
- xl رودولف كار ناب. البناء المنطقي للعالم - المسائل الزائفة في الفلسفة، مركز دراسات الوحدة العربية، ترجمة: يوسف تيبس، بيروت، لبنان: 2011، ص109
- xli أنور عبد المالك. الجدلية الاجتماعية، المجلس الأعلى للثقافة، العدد: 916، القاهرة، مصر: 2005، ص57
- xlii عبد الله إبراهيم. الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع - دراسة في فلسفة العلم - الاستمولوجيا، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، لبنان: 2010، ص116
- xliii رودولف كار ناب. نفس المرجع السابق ، ص44
- xliv إدوارد شيلز. التراث "تأصيل و تحليل من منظور علم الاجتماع، مركز البحوث، الدراسات الاجتماعية، ترجمة محمد الجوهري و آخرون، القاهرة، مصر: 2004، ص54
- xlv محمد سعيد فرح . ما علم الاجتماع- منشأة المعارف، ب.ط، الإسكندرية، مصر:1977، ص ص.129-130
- xlvi بيار بورديو . حرفة عالم الاجتماع. دار الحقيقة، ترجمة: د. نظير جاهل، بيروت، لبنان:1993، ص206
- xlvii عادل عوض. نفس المرجع السابق، ص206
- xlviii علي حرب. أوهام النخب أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، لبنان: 2004، ص189
- xlix محمد عابد الجابري. الإسلام و الغرب "الأنا و الآخر" الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، لبنان:2009، ص210
- <sup>1</sup>عادل عوض. نفس المرجع السابق، ص207
- <sup>ii</sup>محمد عابد الجابري. المرجع سبق ذكره، ص210
- <sup>iii</sup>بويكر بوخریصة. علوم الانسان بين الهوية والسؤال - تحليل استمولوجي في المفاهيم والبراديجمات والنظريات، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر:2013، ص111

<sup>liii</sup> ستيفان هابر..هيرماس والسوسيقولوجيا، دار الأمان، ترجمة : محمد جديدي، ط1، بيروت، لبنان:2012، صص76.75

<sup>liv</sup> بوبكر بوخريسة. نفس المرجع السابق، ص104

<sup>lv</sup> بيار بورديو. بعبارة أخرى - سوسيقولوجيا انعكاسية، دار ميريت، ترجمة: د.أحمد حسان، ط1، القاهرة، مصر:2002، ص46

<sup>lvi</sup> عبد الله إبراهيم. الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع - دراسة في فلسفة العلم الابستمولوجيا ، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت ، لبنان: 2010، ص69

2 د محمد شوقي الزين . ميشال دوسارتو - منطق الممارسات وذكاء الاستعمالات - مدخل إلى قراءة

تداولية، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، بيروت ، لبنان : 2013، ص61

ريتشارد وولين . مقولات النقد الثقافي : مدرسة فرانكفورت، الوجودية - مابعد البنيوية، المركز القومي <sup>lviii</sup> للترجمة ،

ط1، القاهرة ، مصر:2016، ص42

<sup>lix</sup> ماهر عبد القادر محمد، الاستقراء العلمي في الدراسات الغربية والعربية، دراسة إبستمولوجية لمنهجية التصورات . والمفاهيم، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر:1994، صص52-53